

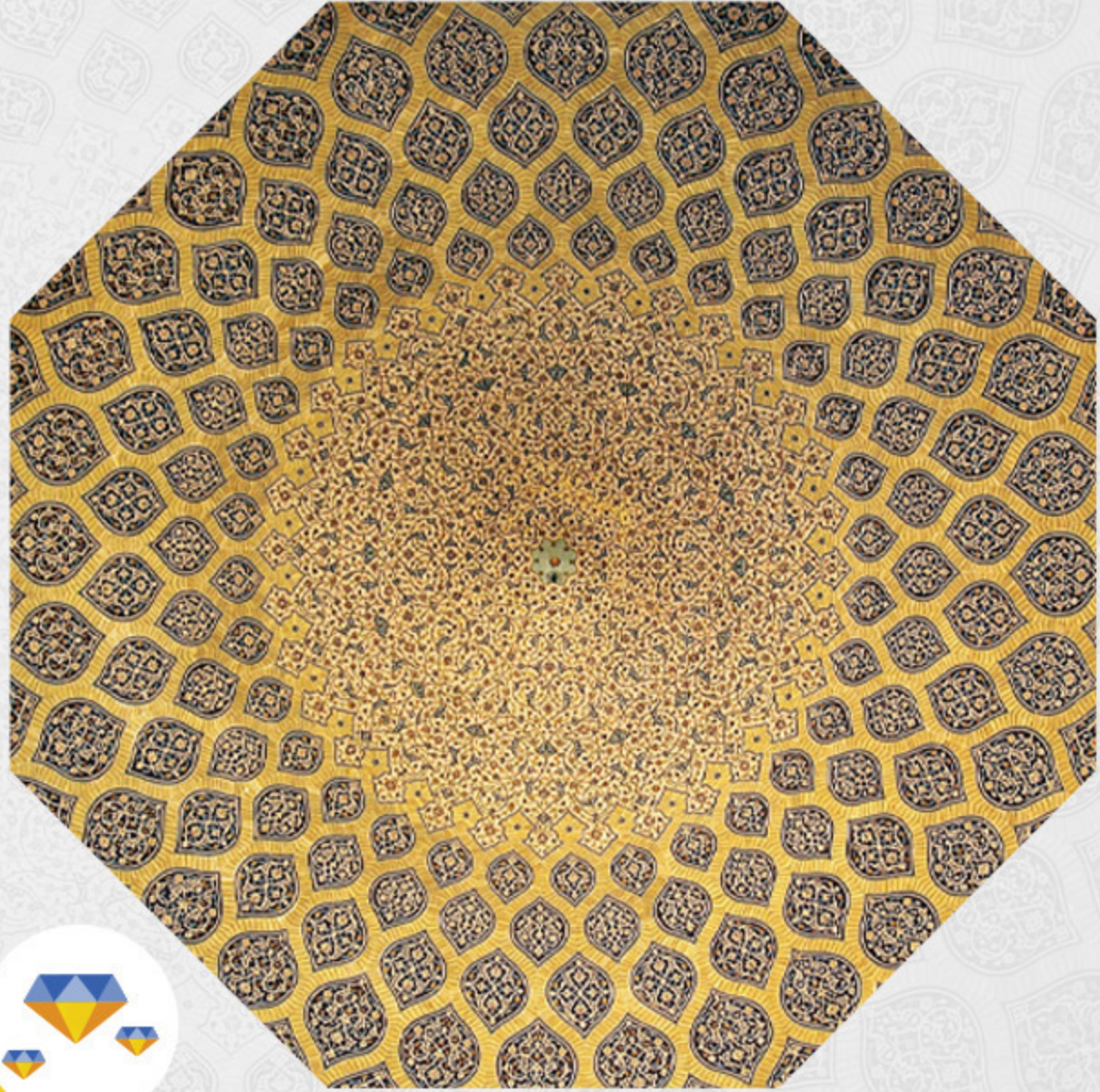


الدَّرَرُ المقدسية
منبر فلسطين للعلم والدعوة والتربية

مَجَلَّة

الدَّرَرُ المقدسية

مجلة دعوية تربوية، تصدر شهرياً عن مؤسسة الدَّرَرُ المقدسية | العدد (42) - آب أغسطس 2025م



وأنتم الأعْلَىون

د. منجد أبو بكر

الوهن والنصر لا يلتقيان

د. شريف قواسمة

الوهن عواقبه وخيمة

أ. يوسف جابر

ضعف الإيمان يؤدي إلى الوهن
قراءة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

د. شادي أبو دية

ولكن قـذـف في قلوبكم
الوهن وكراهية الموت

أ. إسراء حرازة



الفهرس

- 01.....الفهرس
- 02.....الافتتاحية
- 03.....وأنتم الأعلون، د. منجد أبو بكر
- 04.....ضعف الإيمان يؤدي إلى الوهن، د. شادي محمد أبو دية
- 05.....الوهن والنصر لا يلتقيان، د. شريف إسماعيل قواسمة
- 06.....ولكن قذف في قلوبكم الوهن وكراهية الموت، أ. إسراء حرازة
- 08.....الوهن عواقبه وخيمة، أ. يوسف عبد الجليل جابر
- 09.....الوهن في القرآن الكريم، أ. واصف عماد عبد الفتاح
- 10.....الاختلاف والتنازع أساس الضعف والوهن، أ. إبراهيم سبع أبو الفداء
- 12.....هل ثمة دولة على وجه الأرض تسجن الأجنة؟، د. وائل محيي الدين
- 14.....قصيدة بعنوان (رحلة الموت)، أ. ابتسام محمد البرغوثي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

الإخوة والأخوات قراء مجلتنا الغراء... أيها القراء الكرام، رواد مجلة "الدرر المقدسية" الأوفياء، نُطل عليكم من جديد، مع إشراقة شهر كريم، واضعين بين أيديكم عددًا جديدًا من مجلتكم الرائدة مجلة الدرر المقدسية، نأمل أن يكون منارة فكر ورشاد، وبلسمًا لجراح أمتنا. في هذا العدد، اخترنا أن نُسلط الضوء على قضية شغلت الألباب وأرقت القلوب، ألا وهي الوهن والضعف الذي يعصف بأمتنا الإسلامية.

وهنا السؤال الذي يراود النفوس... ألسنا بطرح هذا الموضوع نُجدد المواجه وتلقي بظلال اليأس على أمة تعبت وأنهكتها الوهن، وضرب بها الضعف مضرباً؟ ولكن حاشا لله أن نكون بهذا الطرح قد نكأنا الجراح، أو قلّبنا المواجه! ذلك أننا نؤمن إيماناً راسخاً بأن معرفة الداء هي الخطوة الأولى نحو الشفاء. فلا نهدف في هذا العدد لجلد الذات أو بث الإحباط، بل هو دعوة صادقة للتأمل العميق، والنقد البناء، واستنهاض الهمم.

قراء مجلتنا الكرام: إنَّ الوهن الذي نلمسه في جوانب شتى من حياتنا، ليس قدرًا محتومًا، بل هو نتاج لتراكمات وسلبات أبعدتنا عن جوهر ديننا الحنيف، وعن قيمنا السمحة التي رفعت أجدادنا وعززت مكانتهم. ولكن، في خضم هذا الضعف، تكمن بذور القوة الكامنة، وفرص النهوض المنتظرة. إنَّ الوعي بالداء هو الشرارة التي توقظ النفوس، وتلهب العزائم، وتعيد للأمة بريقها وريادتها.

لقد آثرنا في "الدرر المقدسية" أن نفتح هذا الملف الشائك بكل شفافية وموضوعية، مُستعرضين الأسباب الجذرية لهذا الوهن، ومُبحرين في تداعياته على مختلف الصعد، فاستعرض بعض علمائنا الوهن في القرآن الكريم، وآخر وقف مع الرسول - عليه السلام - في توصيفه للوهن، وكان ثالث يطرح الأسباب والعلاج، وهكذا وقفنا عند الوهن والضعف لعلنا نُقدم لكم، بإذن الله، رؤى وحلولاً مستنيرة، من خلال أقلام كُتّاب وباحثين أفاضل، آمنوا بأنَّ الأمة القوية تُبنى على سواعد أبنائها الواعين، وفكر علمائها الريانيين، وعزيمة شبابها الطموح.

وختاماً ندعو الله أن يكون هذا العدد نقطة انطلاق جديدة، لرحلة نحو التغيير المنشود، مُتسلّحين بالإيمان، والعلم، والعمل الجاد. ولنتذكر دائماً أن "الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".



وأنتم الأعلون

د. منجد أبو بكر

أستاذ التفسير في جامعة إسطنبول 29 مايو



ومن لوازم أن هذه الأمة هي الأعلى ألا تستبدل غيرها، وآيات الاستبدال جميعًا وردت على صيغة التهديد الذي لن يقع مضمونه كما في قوله تعالى: {إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التوبة: 39).

وقوله: {وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38]، وهو تهديد على طريقة قوله تعالى لحبيبه محمد ﷺ: {ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين} [الزمر: 65]، وقوله تعالى: {ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين} [الحاقة: 45].

لأن الأمة معصومة من العذاب العام كالذي كان للأمم السالفة لذا فالأمة معصومة من التبديل، وإذا بدل بعضها فلن تبدل جميعًا، وستبقى طائفة هي الأعلى لأنهم على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين ولن يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

عبارة وردت بالنص في القرآن الكريم في موضعين اثنين:

1. قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران: 139).
2. قال تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَغْمَالَكُمْ} (محمد: 35).

الأول في آل عمران وهي السورة التي سُميت باسم الأسرة المباركة المشتغلة بخدمة المسجد الأقصى المؤشر الأساسي لعلو الأمة، والذي ببركته علا قدر أسرة عمران فاصطفاهم الله تعالى كالأنبياء، والثانية في سورة الحبيب محمد ﷺ أو سورة القتال، في ارتباط واضح بين هذه الركائز الثلاثة الأساسية لعلو الأمة، فضلًا عن تحقق مفهوم الأمة بواقعية ومثالية، والركائز هي:

- خدمة المسجد الأقصى والدفاع عنه.
- الجهاد في سبيل الله تعالى.
- الاتباع الكامل لمنهج سيد المرسلين محمد ﷺ.

علو الأمة بهذه الركائز أقرب ما يكون من منازل العزة والكرامة، وأبعد شيء عن الوهن والتضعف والانكسار، أما في الآية الأولى فلم يعلق العلو بشيء، والجملة الشرطية في ختام الآية دقيقة جدًا، صدرت بحرف الشرط {إِنْ}، الحرف الذي يدل على ندرة تحقق شرطه أو استحالة، خلافًا للحرف {إِذَا} الذي لا يجوز لشرطه إلا أن يقع وأن يكون أكيدًا، وعليه فعلو الأمة غير مشروط بتحقيق الإيمان في كل أفرادها، ودون تحصيل الإيمان في قلوب كل الأمة خرب القتاد، وهو الأمر الذي لم يكن في عصور الجلال والجمال الثلاثة الأولى، وعليه فإن وجود طائفة من الأمة مجاهدة مخلصه عاملة لتحقيق كرامة الأمة متبعة للنبي ﷺ كاف لعلو الأمة وعدم وهنها.

لذا خلت الآية الثانية من الشرط برمته، ولم تكتف بتركه بل وأضافت مزيدًا من عوامل الطمأنينة للأمة فبينت أن الله معنا وأنه لن يترنا أعمالنا، أي لن ينقص العاملين المجاهدين المتبعين للنبي ﷺ شيئًا من ثواب أعمالهم.





ضعف الإيمان يؤدي إلى الوهن

قراءة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

د. شادي محمد أبو دية

محاضر في كلية العلوم الإسلامية



تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

الحديث النبوي الشريف يحل جذور الوهن بدقة، فهو ليس في قلة العدد أو السلاح، بل في حب الدنيا وكراهية الموت، وهما حالتان تنبعان من ضعف الإيمان بالآخرة. ويظهر الحديث بشكل جلي أن ضعف العقيدة، المتمثل في حب الدنيا وكراهية الموت، يؤدي إلى تفكك الأمة وذهاب هيبتها بين الأمم. فالوهن هنا نتيجة مباشرة لضعف الإيمان بالآخرة والانشغال بملذات الدنيا، أليس هذا واقعنا؟ تهافت على الدنيا، وتكاسل عن الآخرة، وخوف من الموت، وضعف في اليقين. وما السبيل إلا بالعودة إلى العقيدة الصحيحة، وتعميق الإيمان في قلوبنا، وإحياء الثقة بالله والنصر منه. فيا من تشعر بالضعف، ويا من غلبك القلق والخوف، قوّ عقيدتك، وتعلّق بالله، وسترى الفرق في نفسك وأمتك.

إن من أعظم الآثار المترتبة على ضعف العقيدة هو الوهن، والذي يؤدي إلى الخوف والقلق الدائمين. وهذا يفقد الفرد المسلم ثقته بالله ويجعله يشعر بالعجز والضعف أمام الابتلاءات، ويؤدي إلى التخاذل عن نصره الحق؛ لأن ضعف العقيدة لا يضحى من أجل الدين والعقيدة، بل يضحى لأجل مصالحه الدنيوية، فينهار أمام المغريات فيبيع دينه وعقيدته بعرض من الدنيا؛ وذلك بسبب ضعف الوازع الديني والإيماني، فيكون منهزمًا نفسيًا وروحياً أمام أعداء الله، في حين أن المؤمن القوي يواجه الصعاب بعقيدة راسخة كرسوخ الجبال.

وختاماً فإن العقيدة القوية هي الحصن المنيع الذي يحمي الفرد والأمة من الوهن والضعف، ويجعلهم قادرين على مواجهة تحديات الحياة بثقة وثبات. وكلما ضعف الإيمان، دبّ الوهن في الجسد الإسلامي، وفقد المسلمون عزّتهم وهيبتهم. فلنحرص على تقوية العقيدة في قلوبنا بالعلم والعمل واليقين، فهي مفتاح النصر والعزة في الدنيا والآخرة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد.

إن من أعظم ما يُبتلى به المسلم في هذا الزمان ضعف الإيمان وتخلخل العقيدة، حتى أصبحنا نرى الوهن يدبّ في جسد الأمة كما يدبّ السوس في الخشب. ذلك لأن العقيدة الإسلامية تمثل الأساس المتين الذي تُبنى عليه شخصية الفرد المسلم، علمًا بأن الأمة تستمد قوتها النفسية والروحية والثبات في مواجهة المحن والتحديات من قوة إيمانها بعقيدتها الراسخة. وإن ضعف العقيدة في قلب المسلم يؤدي إلى الوهن، وقد حذر القرآن الكريم والسنة النبوية في نصوص كثيرة من الوهن، نذكر منها:

أولاً: الوهن في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]. في هذه الآية الكريمة، ربط الله تعالى بين الإيمان الحقيقي وبين العلو. فالمؤمنون الذين ترسّخت عقيدتهم لا يشعرون بالذل ولا يدخل الوهن إلى قلوبهم، مهما واجهوا من مصاعب؛ لأن قوتهم نابعة من يقينهم بالله تعالى، وفي موضع آخر يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: 2]. فالمؤمنون الحقيقيون تزداد قلوبهم ثباتًا وإيمانًا عند ذكر الله، ولا يتسلل إليهم الوهن؛ لأن العقيدة الحيّة في قلوبهم تمدهم بالقوة والطمأنينة.

وقد فسر علماء اللغة الوهن بأنه الضعف والرخاوة في القوة والعزيمة، بينما فسر علماء الشريعة "الوهن" بأنه ضعف العزيمة والإرادة، وهو ناتج عن اضطراب داخلي في منظومة الإيمان. فعندما تهتز الثقة بالله، وتغيب الغاية الإيمانية، ينهار المرء تحت ضغط الحياة، وتسقط الأمة أمام التحديات.

ثانيًا: الوهن في السنة النبوية

وقد حذر النبي ﷺ من الوهن، فقد روى أبو داود وأحمد وصححه الألباني، عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما



الوهن والنصر لا يلتقيان



د. شريف إسماعيل قواسمة
دكتوراة في الفقه وأصوله

مظاهر الضعف والوهن سواء كانت مادية أو معنوية

هل يجتمع النصر والوهن؟

هل يجتمع نصر ووهن يومًا؟! أبدًا، لا يجتمع وهن وظفر يومًا، ولا سكنت أمة في ظل العزة وهي متفرقة متنازعة. هذه سنة الله في خلقه، لا تتبدل ولا تتحول، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

لقد كان المسلمون يوم أن اعتصموا بحبل الله، كلمة واحدة، وصفًا واحدًا، أصحاب راية واحدة، يُرهَبون عدوهم ويأمن بعضهم بعضًا. فحينما اجتمعت قلوبهم على الإيمان، تآلفت أيديهم، وتوحدت صفوفهم، ففتحوا البلاد ونشروا العدل والحق بين العباد. لكن ما إن دبّ فيهم الوهن، وتفرقت كلمتهم، حتى ذهبت هيبتهم وتلاشى سلطانهم. والوهن كما ذكر رسول الله الكريم ﷺ: "حب الدنيا وكرهية الموت"، فما أشد أن تُبتلى أمة بهذا الداء!

اليوم، تنظر إلى حال المسلمين، فإذا هم شيع وأحزاب، كلٌّ يدّعي أنه على صواب، وفيما بينهم صراعات تُهلك الحرث والنسل، لا يكاد يمر يوم إلا والدم يُراق بيد أبناء الأمة ذاتها، وما تركوا للعدو شيئًا لينهبه منهم. وما هذا إلا لأن الوهن قد سكن القلوب، فمن أحب الدنيا نسي رسالته، ومن كره الموت تخلص عن مبادئه.

وإن الأمة التي تنشد النصر والعزة لا بد أن تعيد النظر في حالها. فالسهام إذا تفرقت انكسرت، وإذا اجتمعت اشتدت. وكما أن الماء إذا تسرب بين الصخور ضاع هدرًا، كذلك قوة المسلمين إذا ضاعت في الصراعات العنيفة المقامة لإرضاء مسرحية الفتنة لا يبقى منها شيء. وإن أمة الإسلام اليوم كالجسد الذي تفرقت أعضاؤه، لا يقوى على القيام، ولا يقدر على الذود عن نفسه. ولله درّ القائل: "إذا لم تجمعنا العقيدة يجمعنا الحديد، ولكن الحديد بلا عقيدة صدأ ذليل"، فلنعد إلى كتاب الله، ونجتمع على كلمة سواء، نخلع عنا حب الدنيا، ونعيد لقلوبنا حب الجهاد والاجتهاد والعلم والعمل، فالضعف والنصر خطان لا يلتقيان. هذه قاعدة لا يحيد عنها التاريخ ولا تخرقها السنن.

إن المتأمل في النصوص الشرعية سيجد أن النصر من عند الله، ولكنه يأتي لمن يستحقه ويثبت جدارته. أما إذا تخلص الله عن قوم بسبب وهنهم أو تقصيرهم، فلا ناصر لهم، وسيظهر ذلك جليًا للمتأمل في العديد من الآيات، حيث يربط الله تعالى النصر بشروط تتعلق بقوة الإيمان، والعمل الصالح، والوحدة، والتقوى، والصبر، والإعداد الجيد، وكلها صفات تتنافى مع الوهن والضعف. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَوَضُّعَكُمْ لِيُخْشِعَكُمْ وَاللَّهُ يُخْشِعُ مَنْ يَشَاءُ لَئِنْ لَمْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ لَيَذْهَبُنَّ لَبِئْسَ الْأَوَّلِينَ﴾ [محمد: 7]. هذه الآية تربط النصر بنصرة الله، ونصرة الله تكون بالتمسك بدينه والجهاد في سبيله، وهو ما يتنافى مع الوهن والضعف.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غِنَاءٌ كُفَّاءُ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» [رواه أبو داود]. ففي هذا الحديث، يوضح النبي ﷺ أن الوهن - وهو حب الدنيا وكرهية الموت - هو سبب ضعف الأمة وفقدانها المهابة والنصر، حتى وإن كانت كثيرة العدد.

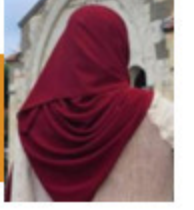
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزَعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» [رواه أبو داود]. هذا الحديث يبين أن الركون إلى الدنيا وترك الجهاد (وهو مظهر من مظاهر الوهن) يجلب الذل والهزيمة. وفي الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير الإسلام أذلنا الله". فهذا القول يشير إلى أن العزة والنصر يأتيان بالتمسك بالإسلام وقوته، والبحث عن العزة في غيره يؤدي إلى الذل والوهن.

يظهر أن القوة الحقيقية والمنعة والنصر تأتي من الإيمان بالله، والعمل الصالح، والوحدة، والعزيمة، والبعد عن



ولكن قذف في قلوبكم الوهن وكراهية الموت

أ. إسراء حراzone
كاتبة وناشط مجتمعية



وانكسار، وهذا ما أورث الأمة برمتها الخور الجماعي والتراجع الجمعي، فعن أبي عبد السلام، عن ثوبان، قال رسول الله ﷺ: يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت"

وأنتني لأسمع صدى عائشة أم الأمير أبي عبد الله محمد الثاني عشر عندما وبخته قائلة: "إبك كما النساء على ملك لم تحافظ عليه كما الرجال"، وذلك عندما تهاوت حصون الأندلس وسلمت مفاتيحها بيد ترتعش خوفاً وذللاً، لتطوى صفحات التاريخ على سبعة قرون من الوجود الإسلامي، سكنت المآذن، وصمت الآذان، وعم الحزن في سماء المسلمين، واستبدل الكفر بالإيمان، وما تهاوت تلك الحصون المنيعه إلا لذل أشرب في قلوب أصحابها، وما سلبت عزتهم وكرامتهم إلا لمسافات قطعت بينهم وبين دينهم!

فيا أبناء أمتنا، يا نداء رسول الله، يا راية النصر، ويا نهضة الوعي، ونبض الدين في شرايين الأمة، أقول ما قاله الشاعر:

قــــــد بنت أمتي
عليكم من الأمل المنتظر
صروحاً تقاوم عصف الظلام
وتهزأ بالفسق أنى ظهر
فهــــلاً جعلتم لبنيانكم
أساساً من الحق يابى الضرر

إن القلوب الخاوية لن تنتصر، والنفوس الضعيفة لن تسير، والرايات الخفاقة لن ترفرف فوق الحصون الخاوية، وشارة النصر لا تغرس على القمم المتهاكة، وسارية التمكين لن تسير في قوافل الضعفاء.

لطالما سعى هذا الدين العظيم إلى توجيه بوصلة القلوب نحو الدار الآخرة، وتبيين حقيقة الدنيا وتزهد القلوب بها، فهي دار عبور لا قرار، وكل ما فيها يبلى، ويفنى، ويتفكك، ويزول، وقد نبه القرآن مراراً وبث النداء في أرواح المؤمنين قائلاً: "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزْنٌ وَقَارٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ".

فقد وضع القرآن توضيحاً لا يخفى على كل ذي لب وقلب حقيقة الدنيا، وأن من لم يزهد بها زهدت به، وأن من يركض خلفها ألقته على قارعة الطريق، وأن التعلق بها رأس كل خطيئة ودنية، وهو من موهنات النفس، ومما يضعف العقيدة ويرقق الإيمان، ويفتت العزائم، ويجعل الملذات تتربع على عرش قلب المؤمن، فيورثه ذلك وهناً وخوفاً، ويصرفه عن معالي الغايات، ويشرب قلبه حب الدنيا، وكراهية الموت واستبعاد الفناء، ووالله أن الدنيا حلوة خضرة لكنها سرعان ما تنقضي ويقف كل منا بين يدي ربه، ليرى ما قدم لنفسه ولأمته ودينه وعقيدته، فما أقساه وأصعبه من يوم!

أفلا ترى أعزك الله خط الدفاع الأول والجهة الأولى في تحصين الأمة ورفعتها شباب أمة الإسلام كيف صارت أحوالهم، كيف باعوا الآخرة بعرض من الدنيا قليل، كيف سكنت الدنيا قلوبهم وسلبتهم بشهواتها وملذاتها، شبابنا أصبحت مساجدنا منهم خالية، مآذنا ومنابرنا تنتحب شوقاً إليهم، صلاة الفجر تبكيهم، فذاك مضيع لصلاته، وذاك مطلق لأخلاقه، وهذا مقلد لثقافة الغرب وبها معجب، وفلان ساخر من أبناء دينة وجلدته، وآخر غافل عن أحزان أمته، وأحدهم لاهث وراء عوالم التفاهة والتريندات الفارغة.

فأصبح الواحد منا همّاً على أمته بدلاً من أن يحمل همّها، وبدلاً من أن يحقق النموذج القرآني بقوله تعالى: "إن إبراهيم كان أمة"، صار الفرد منا كالقصعة التي تداعى عليها أكلتها ومهلكاتها من كسل وخور وهوان



الوهن عواقبه وخيمة



أ. يوسف عبد الجليل جابر
ماجستير فقه إسلامي وتاريخ إسلامي

3. نهب خيرات الأمة وانتزاع ثرواتها: فبلادنا العربية والإسلامية غنية بالموارد الطبيعية والبشرية: النفط والغاز والزراعة والمعادن... لكن للأسف يتحكم أعداؤنا في كل شيء، حتى الدول النفطية تتحكم شركات أجنبية في إنتاجها، وما يعود للمسلمين أقل بكثير مما يعود للأجانب!

4. لا عزة لأمة ضعيفة: القوة تصنع العزة، لذا لما دخل ربي بن عامر إلى ملك كسرى، دخل رافعاً رأسه خارقاً النمارق بسيفه، معبراً عن عزة الأمة وقوتها بقوله: "نحن قوم جئنا لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى سماحة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". بينما يدخل أعداء الأمة اليوم إلى عقر دارنا أعزاء، إلى درجة أن الأجنبي يُعامل بطريقة أفضل بكثير في المطارات والجسور والمعابر... في بلاد المسلمين أفضل من المسلم الذي يعيش في نفس البلد أو المسلم القادم من بلد آخر!

5. تشتت الأمة وتشردمها: فبعد أن كانت بلاد المسلمين دولة واحدة يحكمها خليفة لرسول الله ﷺ، ولها جيش واحد، بعد القضاء على الدولة العثمانية، قُسمت بلاد المسلمين إلى دويلات عبر اتفاقيات من صنع الاستعمار مثل سايكس بيكو، جلس خلالها شخصان من فرنسا وبريطانيا رسماً حدود الدول العربية، وأصبح لكل دولة جيش وعلم ومسؤول، لا تستطيع أي منها الدفاع عن نفسها أمام الأطماع الاستعمارية، ليُطبق على بلاد المسلمين سياسة: "فرّق تُشد"، وهو مصطلح وسياسة قديمة استُعملت منذ عهد السومريين والمصريين واليونان لتفكيك قوة أعدائهم من أجل سهولة السيطرة عليهم.

النهى عن الوهن: لذا أمرنا الله تعالى أن نبتعد عن الهوان حتى نظل أعزاء أقوياء، قال تعالى: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". يقول الطبري: "يا أصحاب محمد، يعني: لا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم"، ووصف المؤمنين المجروحين والمكلومين أنهم أعزاء أقوياء بدينهم وبفكرهم وعقيدتهم رغم جرحهم النازف، فقال تعالى: "وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين"، وفي النهاية، لن يعود مجد هذه الأمة ما دامت متفككة ومتناحرة، بل ستظل مطمئناً لأعدائها، ولن يصلح حالها إلا بما صلح به أولها. لكن عزاؤنا أنه ستظل في الأمة فئة مؤمنة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

تعيش أمتنا هذه الأيام حالة من الضعف والوهن غير المسبوق، فرغم أننا خير أمة أخرجت للناس، ومن صنع حضارة العالم؛ فأوروبا كانت تباع صكوك الغفران عندما كانت بغداد ودمشق والقاهرة... تشع بالحضارة الإسلامية!

لقد أصاب أمتنا الوهن إلى درجة أنها لا تستطيع الوقوف مع قضاياها الرئيسية، بل إن بعض الدول تشارك أحياناً مع عدوها في القتل والحصار وتسهيل مهمات العدو!

مفهوم الوهن: الوهن معناه الضعف، وقد يكون الضعف في البدن والعظم، كما ورد على لسان زكريا عليه السلام: "قال رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً". وقد يكون في العمل والأمر. وقد بين النبي ﷺ معنى آخر للوهن وهو: حب الدنيا وكراهية الموت، فقال ﷺ: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها". فقال قائل: **وَمِنْ قَلِيلٍ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قال: "بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن".** فقال قائل: **يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت".**

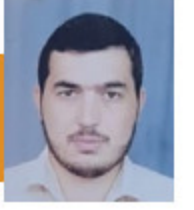
لا أظن أن مقصد الرسول ﷺ المعنى الظاهر للحديث، وإنما قصد أن حب الدنيا وكراهية الموت أهم أسباب الوهن؛ حيث إن من تعلق بالدنيا وسعى من أجلها جَبُنَ، وترك قول الحق، وسعى إلى المنصب على حساب دينه ومبادئه، خاصة العلماء والقادة. ومن تعلق بالدنيا كره الآخرة والموت ولقاء الله تعالى، فأدى ذلك إلى ضعف الأمة وخَوَرها.

مخاطر الوهن: للوهن مخاطر كثيرة، منها ما ورد في الحديث السابق، ومنها ما لم يرد، ونوجز أهمها على النحو الآتي:

1. أن الأمة تصبح عددًا بلا قيمة ولا تأثير: كغثاء السيل الذي لا اعتبار له، فتدخل في الكثرة المذمومة، كقوله تعالى: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، وقوله: "ولكن أكثر الناس لا يعقلون". وهذا ما تعيشه الأمة اليوم؛ ما يقارب من ملياري مسلم لا تأثير لهم في القرارات الدولية، ولا في القضايا المصرية التي تخص الأمة الإسلامية!

2. انتزاع المهابة: أين هي هبة الأمة اليوم؟ تُضرب أربع عواصم عربية في يوم واحد! وتحاصر غزة ويُجوع أهلها، بل يموتون جوعاً على مرأى ومسمع من العالم! بل يقف المسلمون عاجزين أمام إدخال شربة ماء أو علبة دواء.

الوهن في القرآن الكريم



أ. واصف عماد عبد الفتاح
مدرس تربية إسلامية، ماجستير أصول الدين

• الشدائد والبلايا بفعل مدافعة العدو وقتاله: وإليها أشارت الآيات الكريمة في سياق النهي عن الوهن في جهاد الكافرين: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ [آل عمران: 140]، ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾ [آل عمران: 146]، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: 104].

ولما خالطت أسباب الوهن قلوبنا، أوهت قوتنا، وأذهبت ريحنا، فبتنا أمة منزوعة المهابة، فتسلط عليها أعداؤها، يُقَتَّلُ أبناؤها ويُبادون ويَجُوعُونَ... فما نصرناهم... ولا بالطعام أمددناهم... لكن لعدونا وعدوهم أسلمناهم... وما هذا من فعل المسلمين فـ"المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ" [متفق عليه].



في مواضعها الثمانية من القرآن الكريم، جاءت لفظة "الوهن" بمعنى "الضعف"، إلا أن ثمة فرقاً بينهما. ففي "معجم الفروق اللغوية" في تفسير "ولا تهنوا": أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه. وكأن تفسيره يصف واقعنا اليوم؛ فامة الإسلام قد أمدتها الله بأسباب القوة، وجعل لها القدرة على التأثير والتغيير، إلا أنها رضيت بأفعال الضعفاء، فما نصرنا أهل غزة بقتال، ولا أمدوهم بسلاح أو مال. والوهن ينزل في الجسد مع تقلبات أحواله، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: 4]، وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14].

كما جعله الله في قلوب الكافرين وأعمالهم، فلما التجأوا إلى أوليائهم، وجعلوا اعتمادهم من دون الله عليهم، خاب ظنهم وسعيهم، فمثلهم: ﴿كَمْثِلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41].

ولما أرادوا بالمسلمين مكراً وكيداً، أضعفه الله تعالى، وردّ كيدهم عليهم، وجعل العاقبة للمؤمنين: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: 18]، و﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 70].

أما وهن المؤمنين عن قتال عدوهم وجهاده؛ فقد جاءت الآيات عنه ناهية، ومنه محذرة، ولأسبابه وآثاره وعلاجه مفصلة.

أسباب الوهن: من أسباب الوهن ما يلي:

• حب الدنيا وكرهية الموت: فتعليل النهي عن الوهن جاء بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: 36]. وعاتبت الآيات المسلمين يوم أُحُد: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: 143]. و"المعنى: فأين بلاء من يتمنى الموت" [التحرير والتنوير].



آثار الوهن: من آثار الوهن ما يلي:

- الاستسلام والخضوع: فمن سكن الوهن قلبه ذلّ وخضع واستسلم لعدوه، ولا ينبغي هذا للمؤمنين: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: 146]. بل لا ينبغي لهم طلب السلم من العدو ضعفاً وخوراً؛ فهو نظير الاستسلام وشكل من أشكاله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ [محمد: 35].
- الجزع والهلع عند مواجهة العدو: ففي قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا...﴾ [آل عمران: 147] تعريض بمن أصابهم الوهن فصدرت منهم أقوال تنبئ عن جزعهم وهلعهم واستسلامهم للكفار وشكهم بنصر الله تعالى [التحرير والتنوير].
- وقد فضحت هذه الآثار أحوالنا: فكم من داعٍ لأهل غزة بالخضوع والخنوع... وكم من يائس من وعد الله بالنصر...

علاج الوهن: علاج الوهن ومداواة آثاره يكون:

- بالاستعلاء بالإيمان واستشعار معية الله للمؤمنين: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: 35].
- بالصبر والثبات، والالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء، والاقتراء في ذلك بأتباع الأنبياء: فقد ختمت الآية التي نفت الوهن عن أتباع الأنبياء بقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، ثم ذكرت تضرعهم لله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 147].
- باستحضار الأذى والألم والقتل الواقع على الكافرين: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: 140]، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ﴾ [النساء: 104].
- بالاستبشار بالثواب والأجر والنصر والعاقبة الحسنة للمؤمنين: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: 139]، محمد: 35]، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: 104].
- بالعلم بسنن الله تعالى: فبمعرفتها تطمئن نفس المسلم وتزداد يقيناً بوعد الله تعالى، ومن هذه السنن: سنة المداولة، والابتلاء للمؤمنين، والإهلاك للكافرين ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140]، ﴿وَلِيَمْحَضَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 141].

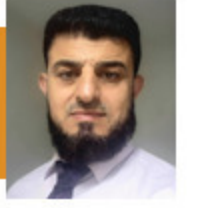
فلنمض في مداواة القلوب من هذا المرض العضال... فلا قيام لأمتنا... ولا تمكين لها... إلا بشفائها منه... ولنأخذ الدرس من أهل غزة العزة الذين جاهدوا ودافعوا عدونا وعدوهم: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.



الاختلاف والتنازع

أساس الضعف والوهن

أ. إبراهيم سبع أبو الفداء
إمام وخطيب



كسبب في النصر (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)، وليس بعيداً عن ذلك ما حصل للمسلمين في أحد بعد أن نشب الخلاف بين الرماة طلباً للدنيا، ولعل الطمع في الدنيا هو سبب كل خلاف، إذا لو رُد كل أمر إلى الله ورسوله ووزن بميزان الله لا بميزان الدنيا لانجلي أي خلاف، فكان العصيان والاختلاف سبباً في الفشل وتحول النصر إلى هزيمة، قال تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا آَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152)، والملاحظ في هذه الآية وتدليلاً على ما ذكرنا في البداية أن الخلاف المقصود إنما يقع بين المؤمنين، ففي أحد كان الجيش من الصحابة بقيادة رسول الله ﷺ، وقد وقع حب الدنيا في قلب بعضهم حتى إن ابن مسعود رضي الله عنه قال (ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد) فحب الدنيا (الغنيمة) أدى إلى الخلاف حول الانضباط في الطاعة حتى كان الفشل وتسلسل الضعف في قلوب المؤمنين وتحول النصر إلى هزيمة قاسية.

ولما كان الخلاف سبباً في التنازع الذي يؤدي إلى الضعف والوهن وهوان المؤمنين، كانت سنة الله في التمايز بين المؤمنين، ومرة أخرى نعود إلى اختصاص المؤمنين دون غيرهم بعيداً عن المنافقين و المشركين أو من يعتنقون المبادئ التي تتعارض مع الإسلام، إنما التمايز بين المؤمنين، حتى يتم تنقية الصف، الغث من السمين، والخبيث من الطيب حتى يتنزه صف المؤمنين من أي شائبة أو ولاء مشوه، حتى يكون رضى الله سبحانه هو الغاية الخاصة، فتزول أسباب الاختلاف النزاع، وينتهي حب الدنيا بكل ما فيها، وتتوحد الصفوف إيماناً راسخاً وعقيدة صلبة في قلب نقي سليم وهذا من نعم الله على المؤمنين وإن كان التمحيص صعباً قاسياً أحياناً وتصاحبه أثمان باهظة أخرى ولكن عاقبة الأمر خير بأمر الله قال تعالى في سورة آل عمران (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179))

الاختلاف هو أن يأخذ كل طرف رأياً مخالفاً للطرف الآخر، أو أن تسلك جماعة طريقاً غير طريق جماعة أخرى، والاختلاف لا يحمل معنى التضاد بالضرورة، فقد يؤدي الاختلاف إلى الهدف ذاته في النهاية، ولكن اشتداد الخلاف ليصل إلى التضاد قد يؤدي إلى التنازع والمشاحنة، مما يسبب ضعفاً، والضعف وهو نقضان القوة، قد يكون معوضاً مستدركاً إلا إذا استفحل في الفرد أو الجماعة فإن ذلك يقود إلى الوهن والهوان.

قضى الله سبحانه أن يخلق الناس مختلفين، مستثنياً عباده من هذا الاختلاف ومتوعداً الآخرين بعذاب جهنم والعياذ بالله، ويظهر ذلك جلياً في قوله سبحانه وتعالى في أواخر سورة هود (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)).

فما هو الاختلاف الذي يسبب الوهن والضعف؟ من بيان معنى الاختلاف والتنازع في مقدمة هذه المقالة، كان واضحاً أن الاختلاف المقصود هو الذي يصيب الجماعة الواحدة، وهنا لا بد من التفريق بين خلاف واجب وهو محور الصراع بين أهل الحق وأهل باطل، وبين اختلاف مذموم منبوذ بين أهل الحق فيما بينهم، والأخير بلا شك سبب في تأخر الأمة وهوانها، وهنا لابد من التحذير من جمع أهل الحق وأهل الباطل في كفة واحدة تحت عنوان نزع الفرقة والاختلاف وتوحيد الجهود، فالله سبحانه وتعالى قال في سورة القلم (أَفَنْجَعُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) وقال في سور المائدة (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)).

إن الخلاف بين المؤمنين مهما كان عابراً أو مستعصياً، يجر على المجتمع المسلم عذابات وينحط بهم إلى ذيل الأمم، ويكفي في ذلك أن رحمت الله سبحانه وتعالى ترفع عند الخلاف كما في حديث ليلة القدر، كانت خصومة رجلين من الصحابة سبباً في رفع ميقات ليلة القدر.

كما أن الاختلاف - وإن لم يصل إلى التنازع- سبب في هزيمة الجيوش، وذهاب النصر، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في سورة الأنفال إذ قرن بين طاعة الله ورسوله ونبذ الخلاف

هل ثمة دولة على وجه الأرض تسجن الأجنّة؟

د. وائل محيي الدين
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها



وكانت أخواتها في السجن يُبصرنّ الخوف الذي يقطر من عينيها فيحاولنّ جاهداً أن يَرَبِّتنّ على قلبها، ويمنحنّ صغيرها- الذي صار صغيرهنّ جميعاً- الحبّ والحنان والدفعَ وشيئاً من الحياة، حيث لا مُتّسع داخل السجن لشيء من الحياة.

ومرّت السنتان، وحانت ساعة البلاء العظيم، فجاء السجناء بكلّ ما في قلوبهم من حقد لينتزعوا يوسف من حضن فاطمة التي تأرجح قلبها بين الخوف والقلق، والرغبة الخفية أن تمنح الحرية هامساً لضناها، فاستسلمت لحكمة الله، وكأنّ هاتفاً ناداه مُبشّراً: "إنّا رادّوك إليه، وجاعلوك من المُحرّرين".

وكان لها ما تمنّت، وقد مكّن الله المجاهدين من تحريرها وبقيّة الأسيرات، فالتأمّ الشمل بيوسف، وكانت غزّة فضاءهم الطافح بالهواجس والأمنيات.

وعاماً بعد عام كان يوسف يعبر دروب الطفولة نحو الشباب، ونجا من ويلات الحروب غير مرة، لكنه ما نجا من الفراغة الذين تعاهدوا بعد الطوفان على قتل الأطفال، ليلتحق فجر الحادي عشر من تموز بركب الشهداء، وقد طوى من العمر سنتين من الأسر، وطفولة محرومة، ووطناً يُقتلُ أبناؤه ونساؤه في بُتٍ حيٍّ ومباشر.

كان يوسف جنيناً حين سُجن، فحملته فاطمة وهنّا على وِهن، حتى إذا بلغ أول الرضاعة كان السجن مهده. لهذا رأى الظلمة حين تفتّحت عيناه على الحياة، خلافاً لكلّ المواليد على وجه البسيطة الذين يخرجون من الظلمات إلى نور الحياة.

كان اسمه بانتظاره قبل أن يولد، وهل في غياهب الجبّ إلا يوسف؟ لكنّ **يوسف الفلسطيني** لن تعثر عليه القوافل السيّارة، ولا مؤسسات حماية الطفل العالمية، ولن يراوده عن نفسه إلا القيد والمحنة.

لكن ثمة نسوة كُنّ معه في السجن، يغمرنه بالرجاء والأمنيات، ويُقَطّعن أعمارهنّ كرمى طفولته، ويشدّدن أزر أمّه التي أصبح فؤادها طافحاً بالقلق والمخاوف.

عامان كان يكبر فيهما يوسف في السجن، مَحَنَةً بعد مَحَنَةٍ، وطفولة منزوعة من الحياة، ووالدة تخاف عليه من زرد السلاسل، ومن غدر الوحوش التي تتميز من الغيظ على مدار الساعة... لهذا ظلت فاطمة الزقّ مسكونةً بالرعب، فلا هي قادرة على ظمأنة قلبها، ولا هي قادرة على تخيل تلك اللحظة التي سيّنتزعون يوسف من حضنها.



رحلة الموت

أ. ابتسام محمد البرغوثي
شاعرة وأديبة



ورحلة الموت تطوي سطرها الحجب
وفي ملامحهم يستوطن العتب
صوت يهيم ورجع للصدى عوب
ووحدهم عن أديم العشق ما اغتربوا
وأطبقت خيمة كالقبر فاحتجبوا
أنامل كانبعثات الريح تضطرب
جمر اغتراب . رمال شققها السغب
تجبك عينا صفيـر غاب عنه أب
والقوت والماء.. لا اقتاتوا ولا شربوا
ولا بقايا احتضار.. عمرنا كذب
أعمى تقاد على أشلائها الركب
نحيا ونفنى لمولانا كما يجـب
يا عابد المال لاملّ ولا حسب
كمثل وجهك في جدرانه عـطب

فرّوا إلى الظل لا ظل ولا سبب
بين اتقاد الأسى والجرح مرتعف
توسّدوا صهوة المجهول . أسئلة
مرّوا بذاكرة الزيتون مـرّ بهم
لاحت حدود من الوادي البعيد دنا
دمّ تيبس أفكار محنطة
ويرمقون الثواني الخانقات على
ما كلّ هذا الأسى.... هذا العناء ألم
بين انتظارين يرنو : حضنه ولها
أماااه أمااااه دوى الصوت لا أحد
فائه الموت يلوي غير مكثـر
نسعى مغمسة بالنار لقمتنا
ما أفضع الموت أن نلقى (بمزيلة)
نم مطمئنا فلا خـزان نطرقة